

الفكر المادي حقيقته ونماذجه المعاصرة دراسة نقدية

د. هدى يحيى علي المالكي

الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والأنظمة جامعة الطائف

عنوان البحث: الفكر المادي: حقيقته ونماذجه المعاصرة "دراسة نقدية".

الهدف من البحث: كشف حقيقة الفكر المادي والأسس الفلسفية التي يقوم عليه ورصد نماذجه المعاصرة قوبيان ما فيه من انحراف ودعوة للإلحاد.

خطة البحث:

- المقدمة:- وفيها أهمية الموضوع وأسباب الدراسة.
- المبحث الأول: التعريف بمذهب المادية.
- المبحث الثاني: أسس الفكر المادي ونقدها.
- المبحث الثالث: نماذج الفكر المادي بواقعا المعاصر.
- الخاتمة:- وضمنتها نتائج البحث والتوصيات ومن ذلك:
 ١. يعتمد الفكر المادي على المادة كحقيقة مطلقة، وينسب لها أصل الموجودات، ويصفها بالأبدية وعدم الفناء.
 ٢. أن الفكر المادي يلغي القيم الروحية والنفسية والأخلاقية ويفسرها تفسيراً مادياً.
 ٣. أن المادة في عصرنا الحاضر سعت إلى تمزيق الإنسان وحصر اهتمامه بالإنتاج والاستهلاك واللذة، وجعلته ينظر للحياة كأنها رصيد مادي وأعمته عن المعاني الدينية.
 ٤. بقاء دين الإسلام لأنه الحق من عند الله، ومحفوظ بحفظه، دين رباني شامل عقيدة وشريعة وأخلاقاً يقوم على العدل والخير والإحسان.هذا وأوصي بدراسة نقدية للأطروحات والنظريات العلمية المعاصرة التي تعتمد في بُنيته على المادية. الكلمات المفتاحية: الفكر المادي، المادية، الفلسفة الماركسية، الجدلية الديالكتيكية، الفلسفة الإلحادية.

Research Summary

Abstract: The Materialism Curriculum; his truth and contemporary models **The aim of this research** is to uncover the reality of Material Curriculum and the philosophical foundations on which it is based and to monitor its contemporary models, and to demonstrate its deviation and call for Atheism. **The research** was divided into three chapters beside an introduction, where the topic and the reasons for the study were mentioned in the introduction. **In the first chapter:** familiarization with the doctrine of materialism. **In the second chapter:** clarification of the foundations of Material Curriculum **And in the third chapter:** models of Material Curriculum in our contemporary reality. **Conclusion:** The research concludes with the results of the research and recommendations, the important results is: Clarification of the Material Curriculum's reliance on the material as an absolute fact and attribution of the origin of the asset to it. He describes it as eternal and eternal. To clarify that Material Curriculum eliminates spiritual, psychological and moral values and interprets them materially. He revealed the fact that in today's world the materialism sought to tear apart man and limit his interest in production, consumption and pleasure, and made him view life as a material asset and his aunt from religious meanings. Affirm the survival of the religion of Islam because it is the right of Allah and is preserved by His preservation, a religious religion that is comprehensive in faith, sharia and morality based on justice, goodness and charity. One of the research's recommendations is to clarify the importance of critical studies of contemporary scientific theses and theories that depend on materialism in their structure. **Keywords:** Material Curriculum, Material Philosophy, Marxist philosophy, dialectic, atheistic philosophy.

المقدمة:

وبعد: فإن الغاية التي خلقت الإنسانية من أجلها هي غاية إيمانية، يقول تعالى: "أَ تَرَى نَزْمَ نُنْئِي" [الذاريات: ٥٦]، وهذه الغاية تواجه محاولات لطمسها أو تقليصها من تيارات فكرية باطلة انتقلت إلى بيئة الإسلام، لها أنصار يؤمنون بها ويعملون على إقناع الناس بها. وتلك التيارات تعرف بالمذاهب، وقد نجحت في تقليل دور الدين ومحاصرته في أوروبا، بهدف إبعاده عن جميع مناحي الحياة، ومنها الفكر المادي الذي يؤمن بأن المادة أساس الوجود ولا شيء يبقى غير المادة، ومن يقرأ في هذا المذهب ربما يجد انبهاراً نفسياً حيث يقدم تصوراً عن الكون والإنسان والتاريخ والأفكار والمشاعر ولكن عند التدقيق وعرض الأفكار للمناقشة يجد الإنسان نفسه أمام مغالطات وتناقضات. وبناء على ما سبق؛ رغبت بدراسة هذا الفكر وتناوله بالعرض والنقد، فكان عنوان البحث كالتالي: "الفكر المادي: حقيقته ونماذجه المعاصرة: دراسة نقدية".

مشكلة البحث: يحاول البحث الإجابة على مجموعة من التساؤلات التالية:

١. ما هو منبع الفكر المادي وأسباب نشأته؟

٢. ماهي قانين الفكر المادي؟

٣. ما حقيقة الفكر المادي وما موقف الإسلام منه ؟

٤. ما نماذجه بواقعنا المعاصر؟

هدف البحث:

يسعى البحث لتحقيق مجموعة من الأهداف وأهمها:

١. التعريف بالمذهب المادي ونشأته والأسس الفلسفية التي يقوم عليها.

٢. كشف حقيقة الفكر المادي ونماذجه المعاصرة وما فيه من انحراف ودعوة للإلحاد.

٣. إبراز قوة الإسلام وبقائه وبطلان الفكر المادي وانهياره.

الدراسات السابقة :

الأبحاث والدراسات عن الفكر المادي متعددة، ومنها:

١. " الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية وموقف الفكر الإسلامي منه "

للباحث الأمير سعود بن سلمان آل سعود ، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٩٣م، وتناولت الدراسة النظريات الفلسفية كالماركسية والدارونية والوضعية.

٢. " غاية الكون بين الإسلام والمادية " ، للباحثة نجاة موسى، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى ، عام ٢٠٠٣ م ، عقدت مقارنة حول موضوع غاية الكون بين الإسلام والماديين.

٣. كتاب " المعرفة في الإسلام: مصادرها ومجالاتها، طبعة دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، والكتاب في أصله رسالة علمية قُدمت في قسم العقيدة بجامعة أم القرى عام ٢٠٠٨م ، ويتضمن أصول الاستدلال على مسائل الإيمان، ونقاشات للاتجاهات الفلسفية المصادمة للشواهد الشرعية كالمذهب المادي والمثالي.

٤. كتاب النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي في التعامل معها دراسة نقدية. للمؤلف: د. حسن الأسمرى. طباعة مركز التأصيل للدراسات والبحوث - جده، وأصل الكتاب: رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه بقسم العقيدة والمذاهب في جامعة الإمام محمد بن سعود. وتناولت الدراسة تأثير الانحرافات المرتبطة بحركة ونظريات واتجاهات العلم الحديث في الفكر التغريبي في علاقته بالدين ومن تلك النظريات: المادية والوضعية والدارونية.

وتختلف دراستي هنا عن الدراسات السابقة في منهجية العرض وذكر نماذجه بوقتنا الحالي وتقديم دراسة متزنة تبين أن الإسلام لا يعارض معطيات العلم وتجاربه في جوانبه الإيجابية ولكنه يعارضه في قوله لا إله والحياة مادة.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي بدراسة الفكر المادي وأسسه وجمع المعلومات وتحليلها ثم استخدام المنهج النقدي لنقض أوهام المادية.

إجراءات البحث:

١ - تخريج الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب البحث.

٢ - تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة في الحاشية، والحكم على ما كان في غير الصحيحين.

٣ - توثيق النصوص من مراجعها بذكر اسم الكتاب ثم المؤلف ثم الصفحة. أما بيانات النشر ففي قائمة المراجع إلا ماتم الاستفادة منه لمرة واحدة فتوثيق بياناته كاملة في الهامش عند موضع ذكره.

٤ - التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث من غير المشهورين.

٥ - التعريف بالمذاهب والمصطلحات والكلمات الغريبة تعريفاً موجزاً.

٦ - وضع فهرس بمراجع البحث وفهرس بموضوعاته .

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة (وفيها مشكلة البحث، هدف البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث، إجراءات البحث، خطة البحث)

وثلاثة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول: التعريف بالفكر المادي.

المبحث الثاني: أسس الفكر المادي ونقدها.

المبحث الثالث: نماذج الفكر المادي المعاصر.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج، ثم قائمة بالمراجع التي استندت عليها في عرض المادة العلمية للبحث ويتبعها فهرس بموضوعات البحث.

المبحث الأول: التعريف بالفكر المادي

تعريف الفكر المادي: هو "الذي يقبل المادة باعتبارها الشرط الوحيد للحياة الطبيعية والبشرية ؛ ويرد كل شيء في العالم إلى مبدأ مادي واحد هو القوة الدافعة للمادة والسرية في الأجسام، فهي القوة التي لا تتجزأ ولا يعلو عليها أحد"^(١). وقيل: "مذهب يحاول الإتيان بمبدأ واحد لتفسير الكون، ويسعى إلى بعث النظام والوحدة بجميع في جميع الظواهر المادية"^(٢). وعرف لينين^(٣) المادة بأنها: "مقولة فلسفية تقيد في تسمية الواقع الموضوعي المعطى للإنسان في إحساساته"^(٤). **إذًا:** الفكر المادي نسبة إلى المادة، ويمثل وجهة نظر الذين يؤمنون بأن هذا الكون أزلي أبدي غير مخلوق، وأن الموجودات أتت نتيجة تطور الحركة الكونية ومنها نشأت.

ظروف نشأة الفكر المادي :

تعود نشأة المادية وسبب انتشارها في العالم الغربي إلى عدة عوامل أهمها:

١- **بيئة الغرب:** حيث أن ثقافة الغرب ثقافة وثنية مادية، فجميع مدارس الفكر اليوناني كانت عنايتها كلها منصبة على طبيعة المادة التي صنع منها الكون، فمنهم من ذهب إلى القول بأن أصل الكون هو الهواء وبعضهم قال الماء، والبعض ذهب للقول أن أصله التراب وآخرون قالوا أصله النار حتى اجتمعوا على القول بأن أصل الكون العناصر الأربعة : الماء والهواء والتراب والنار^(٥). فذلك الفريق انحصر بحثهم في المادة التي صنع منها الكون، ولم يكن بحثهم عن الخالق عز وجل وفريق آخر انحصر بحثهم في الظواهر الطبيعية المحيطة بهم، والتي لها تأثير مباشر بحياتهم، كالأمطار والرياح، فجعلوا لكل ظاهرة إله يعبد وآمنوا بأن لتلك الآلهة نزواتها وشهواتها، وأنها تتجول بين الناس وتعاشر النساء وتقاتل بعضها لأجل امرأة جميلة^(٦). ثم كان ظهور الفلاسفة الإلهيين كسقراط وأفلاطون^(٧) وأرسطو^(٨)، فأرسطو كان يؤمن بآلهة متعددة، ولكنها منزهة عن بعض النزوات والشهوات^(٩). أما أفلاطون فكان يؤمن بإله ويطلق عليه (الإله العلة) والذي صدرت عنه المعلولات أي المخلوقات دون أن يكون خالق أو صانع أو فاعل كما تصدر الحرارة عن النار^(١٠). أما الفلسفة الرومانية قبل اعتناقها النصرانية فكانت وثنية أيضاً؛ فعقائدهم تنحصر في عبادة عدد من الآلهة التي هي رموز لظواهر الطبيعة^(١١) تلك هي الثقافة التي دان بها الغرب والتي قامت على المادية وتقديس المادة

٢- **النصرانية المحرفة:** اعتنق الرومان الديانة النصرانية، حيث دان قسطنطين في القرن الرابع الميلادي بالمسيحية؛ فدانت به أوروبا كلها ولكنهم اعتنقوا الديانة المحرفة، والتي قام بتحريفها اليهود^(١٢) لقد كان دخول قسطنطين في النصرانية لهدف سياسي وهو توحيد الحزبين النصراني والوثني أمام الفرس^(١٣). وقد فرض قسطنطين على أوروبا ديناً محرفاً وليس الدين المنزل على المسيح عيسى - عليه السلام -^(١٤). وشملت مظاهر التحريف العقيدة والشريعة، كتأليه المسيح والقول بالتثليث (أي جعل الإله ثلاثاً) وإدعاء ربوبيته^(١٥)، وقصة الصلب والفداء، وعزل العقيدة عن الشريعة وترك القانون الروماني يحكم الحياة^(١٦).

٣- **طغيان الكنيسة وفساد رجالها:** لم يقف الفساد عند العقيدة والشريعة بل تعدى إلى رجال الدين الكنسي^(١٧)، وأعطت الكنيسة لرجال الدين الكنسي سلطاناً ونفوداً، انطلاقاً من مقولة المسيح المحرفة : ((إني أهبط سلطاني لكنيسة))^(١٨) مما أدى إلى طغيان رجال الدين والذي شمل جميع جوانب الحياة، كالتالي :

الطغيان الروحي: يتمثل الطغيان الكنسي في أمور كثيرة منها: ابتداء ما يسمى بالتعميد^(١٩) والعشاء الرباني^(٢٠) وصكوك الغفران^(٢١)، والقول بأن الكنيسة هي الوحيدة التي تفهم الأسرار المقدسة حتى أصبحت الكنيسة تمثل طاغوتا جاثما على قلوب أتباعها^(٢٢).

الطغيان المادي: توسعت الكنيسة في جمع أموال من أتباعها تحت مسميات كثيرة منها :

الأوقاف : كالاستيلاء على أرض زراعية وإيقافها على نفسها العصور : بأن يدفع كل نصراني عشر ماله للكنيسة . السخرة : وذلك فرض أن يخصص كل نصراني يوماً من الأسبوع للعمل في أملاك الكنيسة^(٢٣) وقد كانت أملاكها تفوق أملاك الأباطرة ورجال الإقطاع^(٢٤).

مصادر الفكر المادي: إن الفكر المادي قام على أفكار الفلاسفة الإغريق والرومان القدامى، ولكن أشهر فلاسفته ماركس^(٢٥)، حيث أخذ المذهب على يديه صفة التنظير والبرهنة وقد قيل: "إن المادية هي الفلسفة"^(٢٦) الماركسية^(٢٧).

وفيما يلي توضيح موجز لتاريخ المادية والمصادر التي استقت منها أفكارها:

(١) قامت هذه الفلسفة على يد افلاطون وأرسطو وسقراط الذين ارجعوا حقيقة الوجود لأصل مادي في القرن السابع قبل الميلاد^(٢٨).

(٢) طاليس وهو مكتشف ما يسمى بالكلم المتصل والكلم المنفصل^(٢٩)، وقد أرجع أصل الكون إلى الماء.

(٣) هرقطليس رأى أن أساس الكون التغير والصيرورة^(٣٠).

(٤) انبازوقليس^(٣١) رأى أن النار والهواء والماء والأرض أصل الكون.

(٥) ديمقراطس^(٣٢) صاحب المذهب الذري ويرى أن الذرة هي أصل الكون وأن جميع الذرات متشابهة والاختلاف بين الموجودات هو الاختلاف بين الذرات الأربعة: السكون - الحركة - الاجتماع - الافتراق.

(٦) نيوتن صاحب صياغة أعظم تصور آلي وميكانيكي للوجود ، وهو ما يسمى بقانون الجاذبية والذي أرسى كل شيء في الوجود مكانه، وقانون تجمع أجزاء المادة التي انفجر عنها هذا الكون^(٣٣)، ديني ديدرو^(٣٤) قال بأزلية الطبيعة وخلودها فليست الطبيعة مخلوقة ولا وجود لشيء آخر.

هؤلاء هم فلاسفة الفكر المادي ولكن يمكننا القول أن المذهب المادي قد تمت صياغته على أيدي المنظرين الكبارين : كارل ماركس^(٣٥)، وفريدريك انجلز^(٣٦)، وقبل هذين المفكرين نجد الفيلسوف هيجل^(٣٧) صاحب فكرة الارتقاء والتطور فيرى أن الطبيعة في تطور ذاتي ولكنها تتطور عن الفكرة فالأصل الفكرة والمادة الفرع ولكن لما أتى ماركس قلب الفكرة ورأى المادة هي أصل والفكرة فرع. ثم بعد هيجل نجد الفيلسوف فيروباخ^(٣٨) الذي تكلم عن التصور المادي عن الطبيعة وعبر عن مكافحة الدين^{٣٩}. إذاً: تبلورت الرؤية المادية في تيارات ومذاهب بتأثير ماركس، ومرت بثلاث مراحل: المادية البدائية : كانت ما قبل سقراط تحدثت عن العناصر الأربعة المكونة للطبيعة. ثم المادية التجريبية : تعني دراسة الوجود والماهية والغائية وأن الواقع الموضوعي الخارجي موجود ومستقل وأن الإنسان يصف هذا الواقع. ثم المادية الجدلية وتعني الأفكار المترابطة والمتناقضة كالموت والحياة والليل والنهار. وذكر الدكتور حسن الأسمرى أن المادية مرت بأربع مراحل أوردها لتفاصيلها المهمة:

- مادية العصر اليوناني القديم تبحث في الجوهر المدير

- المرحلة الثانية بداية القرن الحادي عشر إلى الثامن عشر يمثلها كتاب الطبيعة لدولباخ وفيروباخ الذي دعى بالمادية إله جديد وتوجيه نقد للدين الكنسي

- المرحلة الثالثة: عصر الثوريين بتطوير المادية واللاحادية وتهيأت فيه روسيا لتصبح موطناً للتحول

- المرحلة الرابعة: بالقرن العشرين تأسست فيها الماركسية المادية والجدلية الديالكتية على يد ماركس وانجلز وتحولت المادية من مذهب فلسفي إلى علمي بمعنى توظيف العلم لخدمة الإلحاد وإنكار الإله والغيبيات^(٤٠). يقول ديورانت: "إن المادية أول فلسفة يعتنقها ذلك الذي خلع عن نفسه رداء المعتقدات الغيبية"^(٤١).

المبحث الثاني : أسس الفكر المادي ونقدها

بما أن الماديين يطلقون على جميع الأشياء والظواهر التي تحيط بنا من أحجار وأشجار، والشمس، والنجوم والكواكب مادة ؛ فإنهم يرون أن هذه المادة لها خواص و تحكمها قوانين ومبادئ هي أسسها، اذكرها فيما يلي:

خواص المادة:

١ - المادة لامتناهية ولاشهادة على اضمحلالها وهي الذرات المتناهية التي لا تقبل التدمير أبدية ولا توجد قوة فوق الطبيعة أواخر العالم^(٤٢).

٢ - أن المادة المكونة من كهارب وذرات وسائر الجزئيات التي تتكون منها موجودة منذ الأزل. ويضربون مثل على ذلك بأنه لو رمينا بقطعة خشب إلى النار لا يبقى منها سوى رماد؛ فالخشب احترق لكنه خلف أثر وهو الرماد حيث تحول إلى مواد أخرى تتميز عن قطعة الخشب المحروقة^(٤٣). يقول لومونوسوف (١٧١١-١٧٦٥م) : " أنه ما من جسم، ما من عنصر في الطبيعة يتلاشى تماماً، من غير أن يترك أثراً، وأنه لا يستطيع الانبعاث من العدم " وقد سمى لومونوسوف ذلك بقانون بقاء المادة^(٤٤).

٣ - الترابط: يرى الماديون أن كل ما في الكون وما يقع فيه من حوادث بينها ترابط قائم على التأثير والتأثر ، فيقولون : ((إن المادية لا تنظر إلى الطبيعة باعتبارها مجموعة من الأشياء المترابطة كل منها مستقل عن الآخر ، وإنما تنظر إلى الأشياء على أنها مرتبطة بعضها ببعض ويفهم بعضها في إطار بعض))^(٤٥) . فالماديون بهذا القانون يرون أن العلل ومعلولاتها من صنع الطبيعة.

٤ - الحركة: الحركة تعني وجود الشيء في مكانين في آنين أو في زمانين ، ويرى الماديون أن المادة ملازمة للحركة والحركة ملازمة للمادة ولا توجد إحداها دون الأخرى ، فالمادة عندهم تتحرك وتتغير بذاتها وتتطور من داخلها لا تحتاج إلى غيرها. يقول توماس هوبز^(٤٦) : "إن العالم هو عبارة عن أجسام في حالة حركة مستمرة". وهنا نتفق مع الماديين في أن الحياة في تطور مستمر وأن من خصائص المواد الحركة، ولكن هذه

المادة المتحركة لا بد لها من سبب محرك؛ فهل يعقل أن يكون الشيء ذاته موضوع للحركة وسبب لوجوده؟ إن الفكر المادي بخاصية الحركة يجعل الأشياء في غنى عن خالقها ومدبرها.

٥- **التطور:** لا يكون التطور إلا من أدنى إلى أعلى وقد استفاد الماديون من نظرية داروين (١٨٠٩-١٨٨٢م) التي تقول بأن جميع النباتات والحيوانات، والإنسان قد ظهوروا عقب ارتفاع دام ملايين السنين^{٤٧}. فأخذ ماركس جوهر النظرية الداروينية، وأنشأ على أساسه نظرية اقتصادية، وتفسيراً للحياة البشرية يحصر الإنسان في عالم المادة والتطور المادي ويجعل قوانين المادة منطبقة على عالم البشر وكل ما في الحياة من أفكار ومشاعر تبعاً للتطور الاقتصادي والوضع المادي للإنسان^{٤٨}.

٦- **القوة الذاتية:** المادة بخواصها الأزلية والحركة الملازمة لها تملك قوة ذاتية تتحرك من ذاتها، فالحديد له قوة ذاتية من خلال حركة البيرونيات والالكترونيات والنباتات من خلال المواد المشعة والإنسان من خلال الطاقة الروحية، فعندما تتفاعل تتغير وتتبدل وتظهر كائنات وتقرض كائنات فالوجود قائم على القوة والصراع يقول انجلز: "أي شكل محدود لوجود المادة، لا شيء سرمدى فيه سوى المادة المتغيرة أبداً أو المتحركة أبداً"^(٤٩). **الرد:** يقول أحد نقاد الفكر المادي: ((لقد انتهت المادة إلى ذرة، وانتهت الذرة إلى إشعاع أو إلى طاقة ليس لها خواص المادة التي كان عرفها الماديون شيئاً قط: فقد انتهى الحجم والوزن واللون وانتهى أمراً هو أقرب ما يكون إلى الأفكار وأبعد ما يكون عن المحسوسات والذي نريد أن نصل إليه من هذا أن جوهر المادة ليس شيئاً من البساطة والوضوح بحيث يقال عنه ما كانت تقوله الفلسفة الماركسية في أواخر القرن الماضي^(٥٠)). بعد ذكر الخواص ننقل للحديث عن قوانين المادية:

القانون الأول- تحول الكم إلى كيف: الكم هو ما يحدده الحجم أو العدد أو الوزن، وينقسم إلى قسمين كم منفصل وكم متصل ولكن الفلسفة المادية لا تفرق بينهما. والكيف هي السمات والخصائص الجوهرية للأشياء كالحرارة والبرودة والصلابة والمرونة. يقول انجلز في الفيزياء يشكل كل تغير تحولاً من الكمية إلى الكيفية، نتيجة لتغير كمي من شكل معين من الحركة أما أن تكون كامنة في الجسم أو موجهة له فعلى سبيل المثال: أن درجة حرارة الماء ليس لها في البداية تأثير على الحالة السائلة، ولكن حين ترتفع درجة حرارة الماء السائل أو تنخفض تحل لحظة حيث تتغير هذه الحالة من التماسك وينقلب الماء إلى بخار في الحالة الأولى وإلى ثلج في الحالة الثانية^(٥١) فالمادية ترى أن أي تغير في الكم يتبعه تغير في الكيف، ويضربون مثلاً بالأحجار المتراكمة في النهر تكون لنا سداً وأيضاً مثل درجة الحرارة فعند ارتفاعها من ٥٠ إلى ٦٠ درجة ثم إلى ١٠٠ درجة، فإنه ينتج عنها بخاراً فهذه زيادة في الكمية. ويرى الماديون أن هذه الزيادة تتم عن طريق قفزة نوعية تكون من الأدنى إلى الأعلى^{٥٢}. "القفزة أشبه بانعطاف حاسم من النوعية القديمة إلى الجديدة"، بتغير مبالغت في التطور^{٥٣}. **نقد:** إن كان الكلام هنا علمياً، ولكن هذه النظرية أو هذا القانون المراد منها ربط الأشياء ببعضها دون ذكر سبب آخر خارجي في إيجادها وتزايدها وهو إله الكون خالق المادة وجزئياتها؟ وليسأل العاقل نفسه: هذا الكون البديع المتناسق المتوازن هل المادة مسؤولة عن خلقه وتدبيره؟ تلك المادة التي يطرأ عليها التغير هل تملك لنفسها شيئاً لتملك التنظيم والربط؟ يقول تعال: "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" سورة الأعراف آية ٥٤. ولنسلم للماديين بما ذكروه في مثال الحجر وتحول الأحجار المتراكمة إلى سد ولكن هذا التحول لم يأتي بما تسمونه القفزة، فلو أننا بمهندس لبناء سد؛ فإنه سيحتاج إلى دراسة وتخطيط وقياس محيط السد المطلوب وكم يحتاج من حجارة وهكذا يتابع حتى إنجاز المشروع. فالقول إذاً بالقفزة أو الطفرة غير صحيح ومقولة منافية للعلم والعقل^{٥٤}. ومثال آخر أن النطفة تحولت إلى إنسان من نطفة واحدة وليس بتواتر النطف؛ فالإنسان يقذف ملايين النطف، ونطفة واحدة يتحول منها الإنسان إلى إنسان. فالقول بتحول الكم إلى الكيف خطأ ثم إن الحجارة في مثلهم المذكور ليس شرطاً أن تتحول إلى سد فمن الممكن إزالة الحجارة وبالتالي يزول السد. أما مثالهم في درجة الحرارة عند وصولها إلى مائة درجة بتغير سخونة الماء وتحوله إلى بخار؛ فإن هذا المثال فإنه يناقض قانونهم. فدرجة الحرارة كيفية إذا تزايدت تحولت إلى كيفية أخرى هي البخار فلا علاقة لهذا المثال بقانونهم. كما أن الماديين يرون بحتمية القول أن كل تغير في الكم يتم معه تغير في الكيف، ولكن فاتهم التفريق بين الكم المتصل والمنفصل، فالكم المنفصل لا يحدث كيفية ذات قيمة ومثال ذلك عشرة أحجار أضفنا لها عشرة أخرى فلن يكون لدينا كيفية جديدة فهي زيادة في الكمية لا في الكيفية! وهذا مشاهد محسوس لكن الماديين يقولون أن التغير حتمي من نوع إلى نوع^(٥٥).

القانون الثاني: صراع الأضداد: تنذهب المادية إلى القول بأن الأشياء في تطور مستمر وحركة وذلك التطور وتلك الحركة ناتجة عن الصراع بين المتناقضات أو النقيضين، حتى يتولد لنا شيء ثالث وهكذا. وترى المادية أن كل الأشياء يكمن بداخلها تناقضات^(٥٦). ومثال على هذا القانون أن الببضة تحولت لفرخ ثم إلى دجاجة بفعل الصراع. فالمادة هي السبب في تولد الصراع وبمعنى آخر لا وجود لفاعل يتدخل في هذه الصراعات. يقول لينين: "إن التطور هو صراع الأضداد"^(٥٧). وهذا القانون عند الماديين ينطبق على الطبيعة والكواكب والحياة الاقتصادية والاجتماعية

والنظم السياسية كنظام سياسي معين يطرح مفاهيم معينة وهذه المفاهيم من خلال التفاعل فيما يُنتج مفاهيم جديدة أو يسقط وينهار. **النقد:** مفهوم صراع الأضداد هي الفكرة ونقيضها، ويبطله مبدأ عدم التناقض، فإنه لا يمكن أن يقع تناقض في زمن واحد وبمكان واحد مثل السواد والبياض فلا يمكن أن يكون لذات الشيء بياض وسواد في آن معاً وبزمن وبمكان واحد. وهل من الممكن أن نجمع فكرتين متضادتين؟ وهل من الممكن أن يجتمع بعقلنا فكرة المادية القائلة بعدم وجود خالق مع عقيدتنا بوجوده! فوجود المتناقضات والأضداد غير موجود حينئذ لا يتم الصراع فبالتالي هذا القانون باطل ومجرد هوس فكري.

القانون الثالث: نفي النفي. أن الشيء يرتد إلى ذاته لكن بشكل أرقى، فالنفي هو نتاج التطور الداخلي للشيء. حيث يخلق ظروف دمارها أو نفيها، ومن ثم الانتقال إلى نظام جديد أكثر ترقياً. ومثال تقريبي على القوانين الثلاثة الخلية الموجود بجسم الإنسان وما يدور حولها من صراع الخلية الواحدة تتبثق وتسمى الأطروحة ثم تنتج خلية أخرى هي الطباق ثم تتبثق عوامل أخرى جديدة تسمى نفي النفي^{٥٨}

النقد: قانون نفي النفي يبطله أن استمرارية الأشياء معدومة كما أن صعود الأشياء وتطورها ليس شرطاً أن يكون من الأدنى إلى الأعلى وكمثال عليه نرى انحدار الموت من الأعلى إلى الأدنى ولكن في قانون التطور عند الماديين نجد الإنسان وهو حي يسمى "طريحة ثم يأتي الموت ويسمى "نقيضه" ثم يتحول إلى تراب ويسمى "جميعه"؛ وهذا تطور من الأعلى إلى الأدنى لا كما يزعمون من أدنى إلى أعلى^{٥٩}. ونرى أيضاً انهيار وتهوي الجبال إلى صخور وحجارة وهو انحدار من قوي إلى ضعيف فالقول: أن الأشياء في تطور مستمر لا يصدق في كل الأمور، ولنفرض مثلاً بأنه حصل معوق للشخص بعد ظهور النقيضة بأن مات أو جُنَّ أو حصل له أي أمر خطير وانتهى فأين التصاعد في هذا وغيره من الأمثلة التي تُكذِّب حتمية التطور التصاعدي في كل شيء!

كانت تلك قوانين المادة وسنرى كيف طبقت النظرية المادية تلك القوانين في شتى المجالات مُعبِّرةً عن مبادئها:

١- **مجال الوجود والنفوس والعقل والمشاعر:** تعتبر العقيدة الأساسية للفكر المادي هي أن المادة أصل الوجود وحقيقته فمنها انبثقت جميع الكائنات وإليها تنتهي. ويتكلم الماديون في مجال الطبيعة عن ما يعرف بالمادية الجدلية أو الديالكتيكية ولتفسير هذا المصطلح نذكر ما يلي: المادية نسبة إلى المادة وهي الموجود الذي لا وجود له، والجدلية نسبة إلى الجدل أو الديالكتيك بمعنى المناظرة القائمة بين أطراف متضادة^(٦٠) والمادية الجدلية ترى أن كل شيء يحمل في ثنائه نقيضه، فجميع الأشياء تحمل في جوفها نقائضها، ثم وعن طريق الحركة الذاتية للمادة والتطور يتمخض الشيء عن نقيضه، ثم يتحد الشيء ونقيضه ليظهر لنا شيء ثالث يختلف في صورته وجوهره عن أصله السابق، ثم تتكرر العملية الجدلية من جديد، فيتمخض الجديد عن نقيضه، ثم يتحدان ليظهر شيء ثالث أعلى وأرقى من سابقه، وهكذا تستمر الأشياء في حركة جدلية صاعدة من الأدنى إلى الأعلى عن طريق التفاعلات بين التناقضات الداخلية ثم بواسطة التطور الصاعد^(٦١) ومبدأ الجدلية يطبقه الماديون على المادة ثم على النظم البشرية، فالمادية ترى أن البشرية مرت بخمسة أطوار عبر التاريخ. وللتوضيح هذا شرح مبسط:

١. عصر المشاعية البدائية أو الشيوعية الأولى: وكانت الحياة لا وجود للملكية الفردية فيها حتى النساء.

٢. عصر الرق: وهو ما يعرف بالمرحلة الزراعية وفيه كانت القبائل الضعيفة رقاً للقبائل القوية.

٣. عصر الإقطاع وفيه تم اختراع الآت زراعية كالحراثة، فاستعت الأراضي الزراعية وكثر ملاكها.

٤. عصر الرأسمالية: تحول المجتمع إلى مجتمع صناعي بعد أن كان زراعياً.

٥. الشيوعية الثانية: وتكون السيادة فيه لجميع الطبقات ويفسر ماركس هذه المراحل تفسيراً مادياً حيث يرى أن لكل مرحلة من المراحل دينها وأخلاقيها وأن هناك تغيراً حتمياً يطرأ على كل مرحلة بسبب الصراعات^(٦٢). ذكر ماركس أن الإقطاعي كان بحاجة إلى الدين ودعاء الآلهة لتحفظ له زرعهِ وكون له أسرة خاصة به بسبب مكاسبه. ثم في العصر الصناعي قلَّت الحاجة إلى الدين لأن العامل يتحكم في وسائل الإنتاج بتشغيل الآلات. ثم في العصر الشيوعي يختفي الدين وتختفي القيم ويعود المجتمع إلى مجتمع ملائكي يتشارك في كل شيء^(٦٣). أما ما يتعلق بالنفس الإنسانية والعقل والمشاعر؛ فالمادية ترى الفكر وكل العمليات العقلية ناتجة عن الدماغ، والدماغ مادة فالفكر هو نتاج المادة^(٦٤). ويقولون أيضاً في نفس السياق: "أن العالم المادي الملموس حسياً الذي ننتمي إليه هو الحقيقة الوحيدة، وتفكيرنا مهماً قد يبدو من الحساسية القصوى هو نتاج للمادة، العضو الجسدي، الدماغ، فالمادة ليست نتاجاً للفكر بل إن الفكر ليس سوى أعلى نتاج للمادة"^(٦٥). الماديون يرون أن النفس الإنسانية نشأت وتطورت من خلية حية ومن وحيدة الخلايا إلى متعددة الخلايا وهذا احتاج إلى ملايين السنين، والإنسان عند الماديين من مادة وروح، وترى أن الإنسان خلق روحه من قوته الذاتية وهذه القوة مرتبطة من قوة المواد، فالإنسان عندما يكون شيئاً يملك قوة ثم يبدأ بالهرم كذلك تبدأ الروح بالهرم وتموت. وكذلك مشاعره الوجدانية من حزن وفرح ورضا وغضب وحب وكره يرجعها الماديون إلى تفاعلات المادة داخل جسم

الإنسان^(٦١) ونزد على الماديين هنا بأن المادة نفسها وخصائصها لا يمكن إدراكها بالمادة نفسها بل نستدل عليها بالفكر ، كما أن المادة شيء أصم أعمى أبكم لا يحس فكيف تكون افكارنا وعمليات العقل تابعه لها. القول بأن الأفكار صنعتها المادة فيه مغالطة فهل من الممكن أن تكون الطائرة أو السيارة هي من ألهمت الانسان لصنعها؟

في مجال الألوهية .

لا إله والحياة مادة :

ينظر الماديون للحياة بأنها مادة وأنها الحقيقة الموضوعية يقول انجلز : "إن العالم المادي الذي ندركه بحواسنا والذي نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة" ^(٦٧) وبالتالي لا مكان لخالق أو وحي أو تشريع أو نبوة بل أفكار خرافية أختلقها الإنسان؛ يقول ماركس: " ليس الدين هو الذي يصنع الإنسان إنما الإنسان هو الذي يصنع الدين" ^(٦٨). فحينما وقف عاجزاً أمام الظواهر الطبيعية ؛ أسند حدوثها لقوة عليا وسماها "الإله" ^(٦٩).

ولربط تلك الفكرة عن الدين بالوضع الإقتصادي مالت الماركسية لتفسيرات أخرى مادية منها:

١- أن الدين من اختراع الإقطاعيون ؛ ليجعلوا الأرقاء تحت سيطرتهم ويتحكموا فيهم، وليوهموهم بأن هناك حياة بها نعيم بعالم آخر .
٢- أن الدين اخترعه الفقراء والمظلومين والضعفاء ليخففوا عن أنفسهم من قسوة الحياة وظلم أسيادهم فاخترعوا فكرة الإله الذي سينتقم لهم ويخلصهم من الظلم والقهر ^(٧٠) وسنرى لاحقاً أن المادية رأت أن الدين كان حتمياً في مرحلة من مراحل التاريخ أي مرحلة العبودية ويقولون في هذا: " يكون نظام العبودية عديم المعنى، أحمقاً وغير طبيعي في الظروف الحديثة ، إلا أنه في ظروف تحلل النظام المشاعي البدائي، يكون نظام العبودية ظاهرة مفهومة تماماً وطبيعية" ^(٧١) بل إن ماركس رأى أن الدين هو مصدر الحزن والشر ولا بد من القضاء عليه فيقول: " الدين زفرة الكائن المقتل بالألم، وروح عالم لم تنبت منه روح وفكر عالم لم ينبثق فيه فكر، إنه أفيون الشعوب إذن نقد الدين هو الخطوة الأولى لنقد هذا الوادي الغارق في الدموع" ^(٧٢)، "إنه الأفيون الذي يخدر الشعب فتسهل سرقته" ^(٧٣). وقال ستالين: «لا نريد أن نجعل الدين مسيطر علينا، لأننا لا نريد أن نكون سكارى» ^(٧٤) وقال لينين: "أن الله فكرة خرافية أختلقها الإنسان ليبرر عزه، ولهذا فإن كل شخص يدافع عن فكرة الله إنما هو شخص جاهل عاجز" ^(٧٥). هذا هو لباب الفكرة الماركسية عن أصل الدين، فمتى وصلوا إلى وسائل الإنتاج أخذوا كل حالة اقتصادية تصادفهم فجعلوها سبباً للعقيدة التي تعاصرها.

الرد : أما وصف الدين بالأفيون : فلو كان لكارل ماركس "نصيب من خيال التشبيه لما خطر له أن يشبهه بشيء من المخدرات أو المسكرات، فالأديان جميعاً تقوم على الثواب والعقاب، ولا مجال في تبعاتها لفكر مخدور أو سكران" ^(٧٦). إن الحقيقة التي لا يستطيع الماديون الانفكاك عنها هي أنهم بأنفسهم لم يستطيعوا التخلص من الاعتقاد، فهم وإن خلعوا ربة الدين عن أعناقهم إلا أنهم خضعوا حيناً ودانوا بقوانين المادة واعتقدوا بذلك التصور في الكون والحياة والتاريخ .. إن هذا يكشف عن ميل الإنسان الفطري نحو الاعتقاد والتقدير ^(٧٧) يقول الدكتور عبد الله القرني ^(٧٨): "وفق هذا المذهب فإنه لا يمكن إثبات أي حقيقة ليس لها واقع موضوعي لأن ما لا يمكن التحقق من وجوده بطريق الإدراك الحسي المباشر لا يمكن عندهم أن يكون موجوداً" ^(٧٩). والأدلة على وجود الله تعالى كثيرة قوله تعالى : أ هـ ي ج ي ح ي خ ي م ي ي ي ذ ر ي ء ء ء ن ر نر ثم ، [عمران : ١٨] فالله تعالى شهد على أنه المتفرد بالألوهية، وقرن شهادته بشهادة الملائكة وأولي العلم، فأولي العلم استنبطوا الأدلة من الكون التي تدل على ألا إله إلا الله. ^(٨٠)

في مجال الأخلاق: فسر الماديون الأخلاق تفسيراً خاضعاً للمادية الجدلية فجعلوا الأخلاق تابعة للوضع الاقتصادي والمادي الذي عاشته الشعوب ^(٨١) فمثلاً يفسرون مفاهيم الشرف والعفة بأنها تعود إلى العصور الزراعية ففي المجتمع الزراعي بدأ مفهوم الملكية "هذه أرضي وهذا بيتي .. يرون أن الأخلاق في عهد الرق كانت تعامل الرقيق كمملوك للسيد يتصرف فيه كيف يشاء ويحق للسيد ذبحه أو تعذيبه أما في عهد الإقطاعيين فكانت أخلاقهم بمعاملة المزارعين كأناس ولكنه بنظرة دونية مع شيء من الظلم والحرمان ثم في عهد الرأسماليين فقد امتصت أخلاقهم دماء العمال واستغلتهم، ثم في العهد الشيوعي يعامل الناس معاملة عادلة ؛ وذلك وضعهم تحت مظلة واحدة لا ظالم ولا مظلوم فالكل متساوي ^(٨٢). نلاحظ هنا أن الفكر المادي يحاول أن يخضع الدين لواقع الناس ، وبالتالي لا ثوابت أخلاقية.

وديننا يتصف بالتوسط بين الثبات والخلود، كالثبات على العقائد، واجتباب الكبائر، والالتزام بالأحكام الشرعية الكبرى، وحاجة الإنسان إلى الدين حاجة فطرية، وقد دل الشرع والحس على أن التدين لا يمكن الاستغناء عنه، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٧٢] أما

الحس فهو حاجة الإنسانية لوجود الضوابط ، فعبادة الله وحده لا شريك له، تستقيم الحياة، وعبادة غيره تكون الضلالة لأن الدين ينمو ويرتقي عند الإنسان بحسب البيئة والظروف المحيطة به، وبالنظر إلى اتساع المدارك الفكرية والمعرفية.

في مجال العلم: ظهرت نظرية المادية في عصر العلم ، ورأى الماديون أن الوجود مساوياً للمادة ؛ لذلك قالوا :العلم هو نفس الآثار المادية الظاهرة في المراكز الإدراكية عند الإدراك.وبسيطرة نظرية الفكر المادي بأن العقليات والحسيات عنصر الوجود، وأن الحياة نفسها هي صفة من صفات المادة ؛ تجاهلت كل ما يتصل بالعلم عن طريق الوحي والنبوة ورسالات السماء . **النقد:** عالم المادة هو مجال العلم لتفسير الكون، واكتشاف قوانين، ولكن العلم مع كل إنجازاته المادية لا يقدم لنا أجوبة لأسئلة تتعلق بمصير الإنسان والغاية من وجوده ومآله، وعلاقته بالآخرين سيقول لنا العلم عن ما يتسبب به انشطار ذرة من اليورانيوم وسيشرح آلية عمل الجسد وتحلله بعد الموت إلى عناصر أولية تسبح في التربة.في الغرب نعم كان صراع بين العلم المادي والدين، لأن رجال الدين الكنسي وقفوا بوجه العلم لأنه يناقض نصوص الدين المحرفة بينما في الحضارة الإسلامية، نجد في القرآن الكريم ١٣٠٠ آية تتحدث عن مظاهر الكون المادي، بل إن في بعض الآيات إشارات لأسرار كونية عجيبة اكتشفها العلم مؤخراً.لقد أعلى القرآن من منزلة العقل الذي لا تخفى أهميته في بناء صرح العلم، وخاطب الناس بصيغة أبز بم [النساء: ٨٢]، آ خذ خمه [الأنعام: ٥٠]أضمد طحاً [يس: ٦٨]، بل إن القرآن وضع أسس منهج علمي عندما حث قارئيه على المشاهدة والملاحظة، والتأمل واكتشاف سنن الكون (قوانينه) والعمل بها كيلا يكون مصيرنا كمصير الأمم السالفة.وللعلماء في الإسلام مكانتهم، قال تعالى: أ فم قد قمه كج كد كذ كل كملج لد لذ لم له [الزمر: ٩]. وحثنا على طلب العلم فقال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»^(٨٣) وقال في حديث آخر: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى طَرِيقٍ أَجْنَحَتْهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالَمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ»^(٨٤). وقد أبدع العلماء المسلمون علوماً جديدة كعلم الصيدلة وعلم الجبر، الذي استنبط الخوارزمي قواعده من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الميراث وكيفية توزيعه^(٨٥).لقد فجر الإسلام الطاقات العلمية بنظريته المتحررة من أشكال الخرافة، وبدعوته إلى البحث والتأمل ؛لذلك لم يكن غريباً في الحضارة الإسلامية أن تجد أعلاماً اشتهروا بتفقههم في الدين وتبحرهم في علوم أخرى كالكيمياء أو الرياضيات أو الفلك^(٨٦).لقد شيدت أوروبا صرحها العلمي على إرث الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية. فكوبرنيكوس-على سبيل المثال-بنى نظريته الفلكية التي أحدثت ثورة علمية على الجداول والحسابات الفلكية التي وضعها علماء الفلك المسلمون قبله بعدة قرون. واستفاد نيوتن من مؤلفات ابن الهيثم عالم الفيزياء المسلم، خصوصاً في مجال الضوء والبصريات. وكان كتاب "القانون في الطب" لابن سينا المرجع الطبي المعتمد في جامعات أوروبا لقرون طويلة، وأبدع العلماء المسلمون علوماً جديدة كعلم الصيدلة وعلم الجبر، الذي استنبط الخوارزمي قواعده من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الميراث وكيفية توزيعه، وأحدث هذا العلم طفرة عظيمة في علوم الفيزياء أوصلتنا إلى عصر الكمبيوتر والثورة الرقمية^{٨٧}.يقول: كريسي موريسون^(٨٨) " أن وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها ، وأن وجود الإنسان على الأرض والمظاهر الفاخرة لذكائه، إنما هي جزء من برنامج ينفذه باري الكون... إن الإنسان ليكسب مزيداً لا حد له من التقدم الحسابي في كل وحدة للعلم غير أن تحطيم الذرة إلى مجموعة نجوم مكونة من جرم والكترونيات قد فتح مجالاً لتبديل فكرتنا عن الكون والحقيقة.ولم يعد التناقض الميت للذرات الجامدة يربط تصورنا بما هو مادي ، وأن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم لتدع مجالاً لوجود مدبر جبار ، وراء ظواهر الطبيعة..."^(٨٩).إن "المادية كمذهب فكري أسهم في انحراف مسيرة العلم،وكان أقوى الأسباب في ذلك، ساعده في تلك المهمة الشهرة التي حظي بها المذهب في العصر الحديث وقت تطور العلم، مبدئياً زعمه المتواصل بأنه الممثل الشرعي الحقيقي للعلم والمتحدث باسمه"^(٩٠).وإن كانت المادية ترى أنها الممثل الشرعي للعلم والمتحدث باسمه فإنها تنتهيه بقانون: " كل شيء يتطور عن طريق القابلية"حيث تبطل جوهر العلم والمسعى العلمي والذي هو البحث في العلة ومعلولاتها وتهرب من التفسير وتسلم فقط بالمحسوسات كمعطى خارجي^{٩١} إن العلم الذي يُدْعَن بوجود الله تعالى خالقاً للكون وحافظاً له ، ولا يختزل الوجود في المادة ،ويؤمن بهدف الكون ومصيره ، ويؤمن بوجود نظام أخلاقي ؛ لهُو أكثر غنى وإثرائه مما يقدمه العلم الاحادي ؛ لأنه يؤمن احتياجات الإنسان المادية والمعنوية ومفهوماً شاملاً عن الكون.

نخلص بهذا المبحث إلى أنَّ الفكر المادي بنظر معتقديه مذهب يمتد لجميع أوجه الحياة ، واقتصار تلك الأفكار على المادة تعني الكفر بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، وإنكار الأديان السماوية وتشريعاتها ، وإنكار الروح والنفس والأخلاق والقيم؛ فالإنسان مخلوق جسدياً فقط والعقل عندهم هو عبارة عن المخ المادي وغشائه، ويرجع الحس والمشاعر إلى المادة وتفاعلاتها داخل الإنسان، وهذا محض افتراء وقول باطل.

"إنَّ الفكر المادي فكر مضلل وهو فكر مضلل كذلك لأنه لا يهتدي إلى صواب، بل إنه يحمل فلسفةً عمياء في المصدر والمنهج والفكرة فمن حيث الفكرة فكرتهم عوجاء المفهوم علماً ووعياً ومن حيث المنهج منهجهم غير مستقيم فكراً وتصوراً ومن حيث المصدر مصدرهم مضلل تائه معرفةً وعقلاً بل جهلاً وتفكيراً"^{٩٢}.

المبحث الثالث: نماذج الفكر المادي بواقعا المعاصر.

دورة الإنسان الثلاثية: الفكر المادي يحصر الإنسان في دورة ثلاثية: الانتاجية والاستهلاك واللذة لإبعاد جميع الجوانب الأخرى ، فالإنسان الغربي حياته تدور حول هذه الثلاثة: المصنع ليعمل والسوق ليستهلك والملهي ليتلذذ. ونلاحظ أنَّ دولاً قامت على تلك المنظومة الثلاثية فوجد من يفرض العمل خلال عشرين ساعة وهذا قتل لبشرية الإنسان ودول أقرت الجنس. ومن حجج الإسلام البالغة، موازنته التي تأبى للمسلم أن ينسى نصيبه من الدنيا، ويأمره بالأخذ من طيباتها.^{٩٣} كما قال تعالى: أَمْ ضَمَّ طُحْظُ عَمِّ عَجْجَمٍ فَجَدٍ فَذُفْمٌ فَحَقْمٌ كَجَدٍ كَذُفٍّ كَمَلْجٍ لَدُخْلٍ لَمْ لَهُ مَجْمَدٌ مَذْمُومٌ نَجْدٌ نَذٌّ [القصص: ٧٧].^{٩٤} ولسنا هنا في مقام نقد تلك الدول ولكن لأن هذه المبادئ انتقلت للعالم الإسلامي ومعرفة الشر لا للشر ولكن لتنقيح للوقاية والوعي ومعرفة ما سيحصل.

نهاية التاريخ: يرى الماديون أنَّ التاريخ لا أهمية له ولا حاجة لنا به لأننا حققنا وجودنا بحيث يتم إلغاء الزمان والتاريخ ودمج الجميع بآليات الحضارة^(٩٥). ونرى التدخل الأوروبي في كل ظاهرة كمنسوخ أخلاقي لما يفعلونه بهذا العالم ، نجد الحضارة الغربية تصارع جميع منظومات القيم الأخرى صراع وجودي ولما كان الإسلام منظومة فكرية اقتصادية اجتماعية حُورب من الداخل.

الانقلابات السياسية: يرى أحد المفكرين أنَّ المجتمع الإسلامي أحد مظاهر الفلسفة المادية وأنَّ الانقلابات السياسية تأتي تبعاً للوضع المجتمعي! فيقول: " الماركسية ليست أداة أو مخزن اقتباسات نارية بل نمط وعي وعلمي ثوري ملتزم بمشروع تاريخي حضاري"^{٩٦} في حين أنَّ ديننا الإسلامي يوصينا بطاعة ولي الأمر ويحرم الخروج عليه لما في ذلك من فساد عظيم.

برنامج: "أجهر بالإلحاد لمن استطعت إليه سبيلاً" بهذا العنوان المتهم تعرف فكرة البرنامج القائمة على إنكار وجود الله ، يُقدم البرنامج على اليوتوب ويستضيف ملحدين يطرحون أفكاراً بديلة عن الدين فأحد الضيوف يمتدح النظرية المادية بقوله: "إنَّ أتباعها بالملايين، وهي نظرية صحيحة وقوية وتحمل البراهين القاطعة والواضحة كما هو معروف عالمياً ٢=١+١ لكن فهمها صعب للغاية". ولندكر بهذا المقام رأي رواد الفكر الأوروبي عن النظرية المادية؛ يقول بولج أنها "هراء تفسر كل شيء ولكنها بالتالي لا تفسر شيئاً". ويقول براندرسل أكبر فيلسوف إنجليزي رياضي فيزيائي في كتابه تحليل المادة : ((ما الذي بقي من المادة ؟ بقي منها ضحكة السخرية ممن لا يزالون يعتقدون أنها موجودة))^(٩٧).

كتاب "الأسس المادية لظهور الإسلام" هذا الكتاب يتهم الإسلام بأنه قام على أسس مادية، عنوانه: (النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية) لمؤلفه حسين المروة^{٩٨} ويقول عن هدفه من الكتابة: " هو رؤيا العملية التاريخية للفكر العربي في المجرى نفسه الذي تطور فيه المجتمع العربي الصاعد منذ العهد الجاهلي حتى عصر الإسلام وعصر ازدهار الفلسفة العربية جنباً الى جنب مع ازدهار العلوم العقلية والتجريبية والاجتماعية.."^{٩٩} وبالجمله فهذا الكتاب أتى بأربع مجلدات بعدد ١٨٠٠ صفحة ، بطرح يستند إلى أفكار الماركسية تتناول نشأة الفكر الإسلامي، وقوله هذا هو نفس النظرية الماركسية التي تقول أنَّ الظاهرة الدينية تأتي تابعة للواقع المجتمعي. ويقول أحد مسانديه: " على من يحاربه أن يُقر بأن حسين مروة طبق المنهج الماركسي ويقولون له بالفضل رغماً عن أنف التجربة الإسلامية "^{١٠٠}. وتتاول في كتابه عدة أفكار منها: أنَّ تجربة الغزالي بنقد الفلاسفة قد هدمت حركة التطور لدى المسلمين لوقوفه بوجه الفرضيات الفلسفية حول ذات الله وصفاته فيقول: "موجة العداء للمنطق الأرسطي والفلسفة... ظهرت مع الحملة الإرهابية الفكرية التي أثارها علماء الكلام.. والتي كان أشهر علمائها أبي حامد الغزالي الذي ظل فكره يرهب الفلسفة والفلاسفة على مدى أجيال لاحقة "^{١٠١}. وقد رأى كثير من الكتَّاب أنَّ موضوع حسين مروة هو تحويل التراث الإسلامي إلى تراث ماركسي بشكل مادي لفصله عن جوهر الدين.

ونريد على هذه الفكرة بشكل مبسط وهو إن كان أصحاب الماركسية يرون قيام أنظمتهم بعد صراع مادي وحتمية ، فإن الإسلام قام بعد أن أوجده الله بحكمته واستمر إلى يومنا هذا لأنه دين صحيح يحكم بالعدل يوافق الفطرة وتعاليمه لا تعارض العقل ؛ ولأنه حق، والحق دائماً هو الباقي، فلو أنَّ الإسلام كان ظهوره بسبب عوامل مادية لا انتهت بانتهاك تلك الحال، وظهر ما يقابله!

إنكار الغيبات: تقول ناشطة بمواقع التواصل وتلقب بالذكورة السعادة: " هل تجرأت يوماً أنَّ تتخيل بأن يوم القيامة سوف يكون يوم ملئ بالتطور والتكنولوجيا أم ما زلت في تلك الصورة الذهنية التي رُسِمت لنا وهي يوم ملئ بالتدافع وعدم الاحترام والتزاحم والربح والظلام ..علينا التفكير مرة اخرى في تلك المعتقدات التي زُرعت في عقولنا وهي معتقدات خطيرة جداً لأن هذا لا يتوافق مع الإنسانية"^{١٠٢}. تلك المقولة ماهي إلا منهجية

لصياغة المجتمعات الإسلامية برؤية فلسفية، ولا نذهب بعيداً فنظرة للتعليقات تجد من يصفق لها فيقول أحدهم: "حديث الدكتور أفضل بمليار مرة من حديث مشايخ جهنم وعذاب القبر..". ويقول آخر: "لها فكر ووعي وطريقة مختلفة عن ما يفكر به الآخرون والذين يُعقِدون الأمر كيفما يشاؤون..". ويعلق أحدهم على مقطعها بقوله: "بصراحة كلام الدكتور دخل عقلي وتكلم من منطق". والرد على هذه التشكيكات بأن أمور الغيب لا يمكن التنبؤ بها إلا إما برؤيته أو رؤية نظيره أو بالخبر الصادق من الكتاب أو السنة؛ فالخوض بما لا يثبت فهو رجماً بالغيب يقول تعالى: "أَتُخَذُ مِنْهُ بَدَلٌ بَدَلٌ" [النور: ١٥] إِنَّ مَا أَخْبَرْنَا اللَّهَ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهَا إِيمَاناً مَجْمَلاً وَمَفْصَلاً كَمَا جَاءَتْ النُّصُوصُ وَعَلَيْهِ؛ فَأَخْبَارُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا تَحْتَمِلُ التَّخِيلَ وَلَا التَّكْذِيبَ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْيَقِينَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا يَسْبِقُهُ مِنْ عِلَامَاتٍ وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مَطْلُوباً مِنَ الْعَبْدِ التَّخِيلُ بَلْ مَجَاهِدَةُ النَّفْسِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

شيكات التواصل الاجتماعي^(١٠٣): في إطار الفلسفة المادية الإنسان جزء لا يتجزأ من العالم المادي الطبيعي، تسري عليه قوانين الطبيعة الصارمة بشكل لا فكاك منه، أي أنها توحد الإنسان بالطبيعة.. بحيث يصبح عالم أملس مُجرد من الثنائيات والغايات (الخالق والمخلوق، الخير والشر الإنسان والطبيعة.. الخ)، وبالتالي فإن هذا الكون الواحد المادي يحوي بداخله ما يكفي لتفسيره، مع رفض تام للماورائيات والميتافيزيقا. وبالاعتماد على نظرية داروين وجريان تلك القوانين على الأنواع من خلال مأسماه بـ (الانتخاب الطبيعي)، وأن تقدم الأنواع يعتمد على الصراع من أجل البقاء الذي ينتصر فيه الأصلح؛ ونقيس هذه النظرة على ما يحصل الآن بالصورة العامة التي يشارك بها الناس عن حياتهم في مواقع التواصل بتقديم صورة مادية مليئة بالتلف والمبالغة في المظهر وتزيين المنازل وإقامة الحفلات. إِنَّ هذا تفسير يقود إلى الشعور بالغربة، يجد الإنسان فيه أَنَّ جانبه الإنساني قد تَمَّ اغتياله، وتَمَّ إحلال الجانب المادي مكانه، في إطار رؤية شاملة باعثة على الكآبة، تتحدث عن عالم بلا منطق^{١٠٤}. **مما سبق** نخلص إلى أن المادية بنماذجها هي إضراراً بالروح وَاغتيال للإنسان وتخطيط للقيم.

الخاتمة

- ١- المادية ترى أَنَّ لا إله وأَنَّ المادة أصل الموجودات، ومن خواصها الأبدية وعدم الفناء.
- ٢- إِنَّ الفكر المادي حصر سُبُل المعرفة في الطبيعة المادية للأشياء وفسرت وجود الإنسان والكون والحياة انطلاقاً من ذلك.
- ٣- أَنَّ النظرية المعرفية للإسلام هي أوسع النظريات المعرفية بمصادرها وضوابطها كما أنها حلت جميع الإشكاليات.
- ٤- أَنَّ المادية فكر إلحادي لا يؤمن إلا بالمحسوس؛ لذلك تكفر بالخالق والغيبيات عامة.
- ٥- أَنَّ قانون الأضداد الذي قالت به المادية محال، فلا يمكن أَنْ يجتمع النقيضان، كما أَنَّ جميع قوانين النظرية المادية ومستلزماتها قائمة على الجهل والتخبط والتناقض.
- ٦- تزعم المادية أَنَّ كل القيم والأخلاق غير ثابتة ومتغيرة، وأنها تابعة لتطور الإنسان وانعكاساً لوضعه الاقتصادي والذي يحدد عقيدته وطبقته، وهو زعم باطل.
- ٧- الحرية قيمة مُقدرة في الإسلام حيث جاءت الرسالات السماوية لتحرير العقول من التعلق بغير الله فلا يأمر الله إلا بالعدل والبر والإحسان.
- ٨- غفلت المادية عن طبيعة تركيب الإنسان المكون مما هو روحي وما هو مادي.
- ٩- إِنَّ المادة في عصرنا الحاضر سعت إلى تمزيق الإنسان وحصر اهتمامه بالإنتاج والاستهلاك واللذة وجعلته ينظر للحياة كأنها رصيد مادي وأعمته عن المعاني الدينية.

١٠- نجد في المادية شيء من الحقيقة ولكن فيها الكثير من التناقضات والجهل ولا تعتمد على العقل ولا على العلم.

١١- بقاء دين الإسلام لأنه الحق من عند الله، ومحفوظ بحفظه، دين رباني شامل عقيدة وشرعية وأخلاقاً.

التوصيات: أوصي بدراسة نقدية للأطروحات والنظريات العلمية المعاصرة التي تعتمد في بُنيته على المادية.

المراجع

القرآن الكريم.

- ١- أسباب سقوط الشيوعية الماركسية: للدكتور أحمد الغامدي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى، قسم العقيدة (١٤١٧-١٤١٨هـ).
- ٢- أفكار ورجال قصة الفكر الغربي: جرين بنتن، ترجمة: محمود محمود، مؤسسة هندواي - مصر (٢٠٢٠م).
- ٣- أصل الدين: لفيورباخ، ترجمة: أحمد عبد الحليم عطية، المؤسسة الجامعية للدراسات والبحوث - بيروت (ط ١ / ١٤١١-١٩٩١ م).
- ٤- ألف باء المادية الجدلية: فاسيلي بودوستنيك، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (١٩٧٩ م).

- ٥- أوروبا في العصور الوسطى: سعيد عبد الفتاح، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة التاسعة (٢٠٠٧م).
- ٦- الأوضاع الدينية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية في الغرب من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر : للدكتورة نيفين الكردي، الجامعة الإسلامية- غزة (١٤٣٢هـ).
- ١٠- تاريخ المادية: ألبرت لانجه ، ترجمة : فؤاد زكريا. مكتبة طليطلة- مصر .
- ١٢- التفسير المادي للتاريخ: الدكتورة زينب جبار شرهان، محاضرات جامعة ذي قار (٢٠٢٠م).
- ١٣- التفسير المادي للفلسفة : د. أشرف حسن منصور (بدون بيانات نشر) نسخة pdf على الشبكة العالمية.
- ١٤- درر تعارض العقل والنقل: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، دار الكنوز الأدبية - الرياض (١٣٩١م).
- ١٥- دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة و نشأتها و منطلقاتها الفكرية ، دكتور أحمد عبدالعال ، دار الأوراق الثقافية-جده ، الطبعة الثانية ، (١٤٣٤ هـ) .
- ١٦- الدوافع المادية المؤدية للالحاد: أ.معتصم سيد أحمد، سلسلة محاضرات مجموعة الإحياء والتجديد.
- ١٧- العلم يدعو للإيمان: كريسي مورسيون، ترجمة: د. صالح الفلكي، القاهرة - مكتبة النهضة المصرية للنشر والطبع (١٩٥٨م). (نسخة المكتبة الشاملة) .
- ١٨- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان : د. عبد الوهاب المسيري، دار الفكر - دمشق ، الطبعة الثانية (٢٠٠٣) .
- ١٩- الفلسفة اليونانية : تاريخها ومشكلاتها ، أميرة حلمي ، القاهرة - دار المعارف (١٩٨٨م).
- ٢٠- اللغة وجدلية الفكر والمادة ، لابن طرات جلوت، جامعة وهران _ الجزائر (٢٠١٨ م).
- ٢١- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية : جوزيف ستالين، دار التقدم . (١٩٨٣م).
- ٢٢- مباحث الفلسفة: ول ديورانت، ترجمة : أحمد فؤاد ، المركز القومي للترجمة- القاهرة ، الطبعة الثالثة (٢٠١٨م).
- ٢٣- المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة : للأستاذ الدكتور عيسى بن عبد الله السعدي ، دار الأوراق الثقافية - جدة (١٤٣٥ هـ) .
- ٢٤- مذاهب فكرية معاصرة : عرض ونقد ، دكتور محمود مزروعة دار كنوز المعرفة-جده. الطبعة الثانية (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م).
- ٢٥- المذاهب الفكرية المعاصرة ، د: أحمد الطعان (سلسلة محاضرات منشورة على الشبكة المعلوماتية).
- ٢٦- المذاهب الفكرية المعاصرة (الفكر المادي) (سلسلة محاضرات-جامعة الملك خالد).
- ٢٧- المذاهب الفلسفية المعاصرة: سماح رافع، مكتبة الإسكندرية (١٩٨٧م) (نسخة إلكترونية).
- ٢٨- مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، د. عبد الرزاق مسلم الماجد، دار المكتبة العصرية، بيروت.
- ٢٩- المعجم العلمي للمعتقدات الدينية : ترجمة سعيد الفيشاوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة (٢٠١٧م).
- ٣٠- المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب - بيروت (١٩٩٤م).
- ٣١- المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها: للأستاذ الدكتور عبد الله القرني، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة ، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).
- ٣٢- الملل والنحل: لمحمد عبد الكريم الشهرستاني، تعليق: أحمد فهمي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
- ٣٣- موسوعة الفلسفة والفلاسفة: د. عبد المنعم الحفني. مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى (١٩٩٩م).
- ٣٤- الموسوعة الفلسفية: للجنة من العلماء السوفياتيين، إشراف : م. روزنتال و ب. يودين ، دار الطليعة للطباعة والنشر (٢٠١١م).
- ٣٥- النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية : لحسين المروة، دار الفارابي- بيروت ، الطبعة السادسة (١٩٨٨).
- ٣٦- النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب التفكير الغربي في التعامل معها : د. حسن الأسمرى ، مركز التأصيل للدراسات -جده.
- ٣٧- نقض أوهام المادية الجدلية: دكتور محمد رمضان سعيد ، دار الفكر - سوريا الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٥م).
- ٣٨- وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار : أ. د. محمد بن أحمد الصالح (الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات).

هوامش البحث

(١) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان ، لعبد الوهاب المسيري ، (ص: ١٦ ، ١٧). ويُنظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا (٢ / ٣٠٩).

(٢) تاريخ المادية، للانجه (ص: ٢٠).

- (٣) فلاديمير ألييتش فيلسوف روسي ولد عام ١٨٧٠ وتوفي ١٩٢٤، درس الماركسية وتأثر بها من مؤلفاته : " المادية والمذهب النقدي التجريبي " و " أعلى حالات الرأسمالية". تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم (ص: ٢٢١)،
- (٤) النظرية المادية في المعرفة، (ص: ٤٥٥) نقلاً من أسباب سقوط الشيوعية الماركسية ، أحمد الغامدي ، (ص: ٣٥٣). وسيأتي شرح معنى الواقع الموضوعي في (ص: ١٣) من هذا البحث.
- (٥) يُنظر: الموسوعة الفلسفية ، للجنة من العلماء السوفييتيين (ص: ٢٤٨).
- (٦) يُنظر: مدخل إلى المادية الجدلية، موريس كورنفورث، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٥م. (ص: ٥٢).
- (٧) أفلاطون (٤٢٨-٣٤٨) فيلسوف يوناني، معلم أرسطو ، ولد في أثينا ، من مصنفاته : الجمهورية. الموسوعة الفلسفية (١٥٤/١). يُنظر: موسوعة الفلسفة، (٩٨/١)، الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها لأميرة حلمي، ص ١٦١.
- (٨) أرسطو (٣٨٤-٣٢٢) فيلسوف يوناني ، ولد بمدينة أسطاغيرا، وضع علم المنطق كله، لقب بالمعلم الأول، له مؤلفات كثيرة. يُنظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج ١، ص ١٢٢.
- (٩) يُنظر: مدخل إلى المادية الجدلية، (ص: ٥٢).
- (١٠) يُنظر: مبادئ الفلسفة، رينيه ديكارت، ترجمة: نداء عادل، إبداع للترجمة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩م، (ص: ١)، الدين ونشوء العلم الحديث دراسة في فلسفة العلم وعلم الاجتماع الديني، ريجر هوكاس: ترجمة: زيد العامري الرفاعي، مكتبة مدبولي، مصر، ٢٠٠٨م (ص: ٤٣).
- (١١) يُنظر: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ماريا لويزا برنيري، ترجمة: عطيات أبو السعود، مراجعة: عبد الغفار مكاي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٢م (ص: ١). ومذاهب فكرية معاصرة، د. محمود مزروع (ص: ٤٥-٤٧).
- (١٢) ينظر: استكشاف المسيحية الأولى: بحث عن اللاهوت السري المضطهد لطوائف المسيحية الأولى حتى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، محمد بنتاجة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، (ص: ٤٧).
- (١٣) ينظر: تاريخ الفكر السياسي: العصور القديمة والوسطى، يوسف فهري، د.ن. ١٩٩٧م، (ص: ١٥١).
- (١٤) المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة ، عيسى بن عبدالله السعدي (ص ٩ ، ١٠) (باختصار) .
- (١٥) بولس اليهودي أول من ابتدع فكرة اللاهوت والناسوت في شخص المسيح .راجع : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم الجوزية، ص ٢٣٠. ويُنظر: أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح، (٥١/١).
- (١٦) المختصر في المذاهب الفكرية للدكتور عيسى السعدي، (ص: ١٣).
- (١٧) المرجع نفسه ، (ص: ١٥).
- (١٨) أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح، (١/ ٣٥٠).
- (١٩) من طقوس النصرانية رش الماء على الجبهة، أو غمس الجسم في الماء في الكنيسة على يد كاهن، وهو أمر إلزامي على كل نصراني. ينظر: قاموس العقيدة ألف مصطلح في العقائد، محمد أحمد الحاج، بسام العموش، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٢م (ص: ٤٥٧).
- (٢٠) تناول الخبز مع كأس من الخمر بالكنيسة ، رمزاً لصلب المسيح. المسيحية ، ينظر: قاموس العقيدة ألف مصطلح في العقائد، (ص: ١٣٢).
- (٢١) صكوك يصدرها البابا بالإعفاء عن الخطايا المرتبكة أو التي لم ترتكب بعد مقابل نقود. يُنظر: المعجم العلمي للمعتقدات الدينية ، سعيد فيشاوي، (ص: ٢٩٧).
- (٢٢) المختصر في المذاهب الفكرية للدكتور عيسى السعدي، (ص: ٦).
- (٢٣) ينظر: المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م، (ص: ٢٢٥)، الثورة الفرنسية، لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، (ص: ٧٣).
- (٢٤) يُنظر: الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في الغرب من القرن التاسع حتى القرن الحادي عشر ، نيفين الكردي، (ص: ١٠٢، ودراسات في المذاهب الفكرية، د. أحمد عبد العال، ص ١٠٢.
- (٢٥) ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م) مفكر ألماني ولد في مدينة ترير من أسرة يهودية ، اعتنق المسيحية ، اهتم بفلسفة هيجل ودرس الفلسفة والاقتصاد، له كتاب رأس المال، عانى من الفقر في حياته ، وانعكس ذلك على آرائه. منافذ على الفلسفة ، (ص: ٥١) هامش رقم ٢).

- (٢٦) الفلسفة هي: "علم القوانين العامة للإنسان والمجتمع وعلم التفكير الإنساني وعملية المعرفة". مبادئ الفلسفة، رابوربت (ص: ١٥) ، و الموسوعة الفلسفية ،مجموعة أكاديميين سوفياتيين،(ص: ٣٣٦) . وحقيقة الفلسفة الاستقلالية بالأدوات المعرفية على بناء إيدلوجية ورؤية كونية بدون الاستعانة بنبي أو وحي.
- (٢٧) مصادر الماركسية الثلاثة، فلاديمير لينين ، (ص: ٤) .
- (٢٨) ينظر : تاريخ الفلاسفة اليونان الأوائل: قبل سقراط إعادة بناء وتأويل جديد، شرف الدين عبد الحميد، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٩م (ص: ٢٥).
- (٢٩) سيأتي توضيح ذلك في الصفحات القادمة من البحث.
- (٣٠) ملاحظات فلسفية، (ص: ٣١٨) نقلاً من المادية الديالكتيكية ، (ص: ٥).
- (٣١) انبازوقليس (٤٩٠-٤٣٠)، ولد بجزيرة صقلية، أدعى الألوهية وأعتقد بالتتاسخ وخلود الروح. يُنظر : الملل والنحل، للشهرستاني، (٢/ ٣٧٩)، وتاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، (ص ٣٠-٣١).
- (٣٢) ديموقريطس: فيلسوف يوناني، (٤٦٠ ق.م - ٣٧٠ ق.م)، ولد ديموقريطس في أبديرا بشمال اليونان. وكتب في علم الأخلاق والفيزياء والرياضيات والأدب واللغة. ولكن لم تبق سوى قلة من مؤلفاته، ينظر: العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة: من كوبرنيك إلى هيوم، أيوب أبو دية، ٢٠٠٩م، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، (ص: ٥٦).
- (٣٣) أفكار ورجال قصة الفكر الغربي، جرين بنتن، (ص: ٢٠).
- (٣٤) دني ديدرو (١٧١٣-١٧٨٤م)، فيلسوفاً فرنسياً، ناقدًا فنياً، وكاتباً ، كان يسلم بالقوانين العلمية ويرفض المذاهب الميتافيزيقية. ينظر: الفكر التاريخي الأوروبي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، ناصر الدين سعيدوني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م (ص: ٢٣١).
- (٣٥) سبقت ترجمته.
- (٣٦) فريدريك انجلز (١٨٢٠-١٩٥٠م) فيلسوف ألماني، يُلقب بأبي النظرية الماركسية إلى جانب كارل ماركس. درس الفلسفة وعلم الاجتماع، من مؤلفاته: أصل نظام الأسرة والدولة والملكية الفردية. موسوعة الفلسفة (١/ ٧٢٣).
- (٣٧) هو جورج فريدريش هيغل (١٧٧٠-١٨٧٢م) فيلسوف ألماني ، يُعتبر أهم الفلاسفة الألمان، مؤسس المثالية الألمانية في الفلسفة وطور المنهج الجدلي وأثبت من خلاله أن سير التاريخ والأفكار يتم بوجود الأطروحة ثم نقيضها ثم التوليف بينهما. من مؤلفاته: "ظواهرات الروح" و"علم المنطق" و"أصول فلسفة" موسوعة العلوم الفلسفية ، (٢/ ٦).
- (٣٨) هو لودفيغ فيروباخ (١٨٠٤-١٨٧٢م) درس القانون والفلسفة ،وتتلمذ في برلين على يد هيغل ، من كتبه: "خاطر حول الموت والخلود" و"جوهر المسيحية" يُنظر : نقد الدين عند فيروباخ. خشعي عبد النور(المقدمة).
- (٣٩) يُنظر: ألف باء المادية ، (ص: ١٤-١٥). واللغة وجدلية الفكر والمادة، لابن طرატ جلوت،(ص: ١٥-١٩). راجع في تاريخ المادية بشكل مفصل : أسباب سقوط الشيوعية الماركسية، أحمد الغامدي، (ص: ٥٣-٣٧١).
- (٤٠) يُنظر: النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية، (١/ ٣٣٨-٣٤٢).
- (٤١) مباحث الفلسفة (ص: ٦٢).
- (٤٢) يُنظر: فاسيلي، ألف باء المادية الجدلية، (ص: ٢٥) والظاهرة القرآنية، (ص: ٧١) ترجمة: عبد الصبور شاهين.
- (٤٣) المرجع نفسه، (ص: ٢٦).
- (٤٤) المرجع نفسه، (ص: ٢٦-٢٧).
- (٤٥) مدخل إلى المادية الجدلية ، موريس كوثنورث ، (٩٢/١) ،ومذاهب فكرية معاصرة، د. محمود مزروعة، ص ٣١٨.
- (٤٦) (هوبز ١٥٨٨- ١٦٧٩): أشهر الفلاسفة الماديين في العصر الحديث، عالماً رياضياً، مدخل إلى الفلسفة ، لهادي دار عن أعلام الفلسفة المادية في العصر الحديث، يوحنا بيدويد. مقالة بمجلة بابلون العدد ١٧.
- (٤٧) فاسيلي ، الف باء المادية، (ص: ١٦).
- (٤٨) يُنظر : المختصر في المذاهب الفكرية المعاصرة، عيسى السعدي، (ص: ٤٣).

- (٤٩) دياكتيك الطبيعة، (ص: ٤٢-٤٣).
- (٥٠) الاشتراكية العربية، ص ١٣٩، نقلاً من أسباب سقوط الشيوعية الماركسية، ص ٣٦٨.
- (٥١) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، (ص: ٣).
- (٥٢) نقض أوهام المادية الجدلية، محمد البوطي، (ص: ٣٥).
- (٥٣) ألف باء المادية الجدلية، (ص: ٥٤).
- (٥٤) نقض أوهام الجدلية، محمد البوطي، (ص: ٨٩).
- (٥٥) ينظر: الفلسفة اليونانية، عبد الجليل كاظم المحنة، الورق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م (ص: ١١٩).
- (٥٦) مدخل إلى المادية الجدلية (١ / ١١٢).
- (٥٧) مختارات، لينين، الطبعة الانجليزية، م ١١، (ص: ٨١-٨٢).
- (٥٨) المرجع نفسه، (ص: ٣٧).
- (٥٩) يُنظر: الجواب الإلهي، أو، الإسلام أمام العلم والفلسفة، نديم جسر، المؤتمر الإسلامي، ١٩٥٧م، (ص: ١٧١).
- (٦٠) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، (١ / ٧١٥).
- (٦١) مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، عبد الرزاق الماجد، (ص: ٥٢)، ويُنظر: مذاهب فكرية معاصرة، د. محمود مزروعة، ص ٣١٤، ودراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. عبد العال، ص ١٢٧.
- (٦٢) يُنظر: مشكلات الماركسية في الوطن العربي، سلامة كيلة، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، (ص: ٣٩).
- (٦٣) يُنظر: أزمة المعرفة الدينية، تهامي عبدولي، دار البلد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م، (ص: ٢٥٢).
- (٦٤) يُنظر: الآلة الذكية: من ديكارت وحتى دماغ غوغل، محمد بشير المنجد، e-Kutub Ltd، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م (ص: ١٣٨).
- (٦٥) مختارات، ماركس انجلز، (١ / ٤٣٠).
- (٦٦) يُنظر: دراسات في الاشتراكية، لمنيف الرزاز (ص: ٢١٦).
- (٦٧) الإسلام وحضارة الإنسانية، عبدالمنعم خفاجي، ١٩٨٢، لبنان، (ص: ٩١).
- (٦٨) تعاليم الماركسية، (ص: ٣٩).
- (٦٩) أصل الدين، لفيورباخ، ترجمة: أحمد عطية (ص: ٤١، ٤٣).
- (٧٠) يُنظر: دور الأفكار التقدمية في تطوير المجتمع، ل.ف. كونستانطينوف، تحقيق: عبد المعين الملوح، دار الفارابي، بيروت (ص: ١٤).
- (٧١) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، (ص: ٤).
- (٧٢) كارل ماركس (ص: ١٦).
- (٧٣) الإسلام في مواجهة الايديولوجيات المعاصرة، عبد العظيم المطعني (ص: ٣٩١).
- (٧٤) النظام الشيوعي، (ص: ٥٣).
- (٧٥) المرجع نفسه، نفس الصفحة.
- (٧٦) (الأوطان والديانات، لرجائي عطية مقالة بمجلة الشروق عدد الأربعاء ٢٢ أبريل ٢٠٢٠
- <https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate>
- (٧٧) يُنظر: هجرة الأفكار، ترجمة شفيق أحمد، (ص: ٣٩).
- (٧٨) محاضر بجامعة أم القرى أستاذ مشارك بقسم العقيدة. يُنظر: موقع كاتب وكتاب <https://kkitab.com>
- (٧٩) نظرية المعرفة في الإسلام، د. عبد الله القرني، (ص: ٨٨).
- (٨٠) يُنظر: حاجة الإنسان إلى الدين، لعبد المجيد قناوي، مقالة على شبكة الألوكة، تاريخ ١٩-١٢-٢٠١٨، رابط www.alukah.net.
- (٨١) الأيديولوجيا الألمانية، كارل ماركس وفريدريك انجلز، ترجمة: فؤاد أيوب، (ص: ٣٠).
- (٨٢) يُنظر: مبادئ الشيوعية، فريدريك إنجلز، ٢٠٠٧م، (ص: ٥).

(٨٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب الألف، من اسمه أحمد (٧/١) برقم: (٩)، وابن ماجة في سننه، أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١٥١/١) برقم: (٢٢٤)، و "هذا أحسن إسناد يروي في هذا عن أنس". بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، ابن القطان (١٢٤/٥).

(٨٤) جزء من الحديث السابق.

(٨٥) يُنظر: شخصيات صنعت تاريخاً "إسهامات العلماء العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية، محمود سلامة الهايشة، مكتبة الألوكة، ١٤٣٢هـ (ص: ٥).

(٨٦) يُنظر: الجامعون بين العلوم الشرعية والعلوم التجريبية، عواد الخلف - قاسم علي سعد، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م (ص: ٧-٤٢٨).

(٨٧) يُنظر: الدين والعلم هل يلتقيان أم يتعارضان، نور الدين الرفاعي <https://www.aljazeera.net/blogs>.

(٨٨) كيميائي أمريكي نصراني (١٨٦٤ - ١٩٥١م) الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، رئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك، وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة. والكتاب في أصله دحض (نصراني) لكتاب جوليان هكسلي «الإنسان يقف وحيداً». الترجمة مُستقاه من مقدمة المترجم (نسخة المكتبة الشاملة).

(٨٩) العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ترجمة: محمود صالح الفلكي، القاهرة - مكتبة النهضة المصرية للنشر والطبع، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بنيويورك - القاهرة ١٩٥٨م (١٨/١ - ١٩).

(٩٠) النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب التفكير الغربي في التعامل معها ، د. حسن الأسمر (١/٣٣٧).

(٩١) سلسلة مطرقة البرهان وزجاج الإلحاد <https://www.youtube.com>

(٩٢) نقد الفكر المادي، فاروق صالح باسلامة ، الاثنين ٥ شعبان ١٤٣٠ العدد ١٣٤٥١ صحيفة الجزيرة

<https://www.al-jazirah.com/2009/20090727/rj7.htm>

(٩٣) الأوطان والديانات لرجائي عطية مقالة بمجلة الشروق عدد الأربعاء ٢٢ أبريل ٢٠٢٠

<https://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate>

(٩٤) يُنظر: وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار: محمد بن أحمد الصالح (ص: ٥٣).

(٩٥) يُنظر: آفاق التمرد، فاروق قاضي قراءة نقدية في التاريخ الأوربي والعربي الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م (ص: ١٥٣).

(٩٦) مطرقات فكرية ٢٠١٧م، هشام غصيب، دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢م (ص: ٣٣).

(٩٧) لمراجعة الأقوال يُنظر: سلسلة مطرقة البرهان وزجاج الإلحاد، برنامج يوتيوب ، الحلقة العاشر، بعنوان: برهان التطور.

(٩٨) د. حسين مروة، (١٩١٠ - ١٩٨٧)، ولد بجنوب لبنان فيلسوف وباحث، وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني، ترأس تحرير مجلة الطريق الثقافية من العام ١٩٦٦ - ١٩٨٧ شارك في تأسيس اتحاد الكتاب اللبنانيين عام ١٩٤٨م اغتيل في منزله في منطقة الرملة مؤلفاته: قضايا أدبية، دراسات في الإسلام. <https://ar.wikipedia>

(٩٩) النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، حسين مروة، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢م، (ص: ٤٨٩).

(١٠٠) يُنظر: شفيق جرادي مدير معهد المعارف الحكومية للدراسات الدينية والفلسفية. برنامج خارج النص، حلقة: "حسين مروة ومنظورات مادية في قراءة التراث". و "حسين مروة والأسس المادية للإسلام". موقع جمعية جلامش.

(١٠١) النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، حسين مروة، (ص: ٤٦٠).

(١٠٢) يُنظر لتصريح الدكتور والتعليقات باليوتيوب بعنوان: " يوم القيامة مليء بالتطور والتكنولوجيا" رابط :

<https://www.youtube.com/watch?v=CE8-u-YGK1I>

(١٠٣) لا تُنكر نفعها وما تحمله من أوجه الخير بوقتنا الحالي ولكننا هنا نتناول الجانب السلبي فيها وتأثيرها على عقائد وسلوكيات وسجايا البشر.

(١٠٤) ينظر: كيف تقودنا الفلسفة المادية إلى الإكتئاب، ليوسف عمر، مقالة على الانترنت بتاريخ ١٩/٦/٢٠٢٠.